ملخص المجلس رقم (20)
من الصفحة: ١٧٦ -٢٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١٤٤٣/٢/23هـ

النوع الخامس والثلاثون: (معرفة موهم المختلف)
النوع السادس والثلاثون: (معرفة المحكم من المتشابه)

تعريفه: **ما يوهم التعارض بين آياته.**

كلام اللهﷻ منزَّه عن الاختلاف {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً.

التصنيف: صُنِّفَ في مختلف الحديث وبيان الجمع بينهما، وقد تكلم فيه الصدر الأول ابن عباس وغيره.

مثاله: عن أبي العباس بن سريج قال سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى: {لا أقسم بهذا البلد} فأخبر أنه لا يقسم بهذا ثم أقسم به في قوله: {وهذا البلد الأمين} فقال ابن سريج:

اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهراني قوم وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزًا وعليه مطعناً فلو كان هذا عندهم مناقضةً لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت فلم ينكروا منه ما أنكرت، ثم قال له: **إن العرب قد تدخل "لا" في أثناء كلامها وتلغي معناها** وأنشد فيه أبياتاً والقاعدة في هذا أشباهه أن:

الألفاظ إذا اختلفت وكان مرجعها إلى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافاً.

معنى الإختلاف

سُئل الغزالي عن معنى قوله تعالى: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه **اختلافا** كثيرا} فأجاب:

الاختلاف **لفظ مشترك بين معان**، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه، بل **نفي الاختلاف عن ذات القرآن.**

يُقال هذا كلام مختلف أي: **لا يشبه أوله آخره في الفصاحة،** "هو مختلف" أي:

- بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا

أو

- هو مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه.

- كلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة.
- القرآن لا يشتمل على الغث والسمين وهو مسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا إلى الدين.
- كلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النظم، ثم اختلاف في درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان.
- تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة لأن الشعراء والفصحاء {في كل واد يهيمون} فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها وتارة يمدحون الجبن فيسمونه حزماً وتارة يذمونه ويسمونه ضعفاً.
- لا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات لأن منشأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض واختلاف الأحوال.
- لا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد وعلى منهج واحد ولقد كان رسول الله ﷺ بشراً تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير.
- أما اختلاف الناس فهو تباين في آراء الناس لا في نفس القرآن وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى: {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا} ... والله أعلم". انتهى كلامه رحمه الله.

القول عند تعارض الآي.

إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب والجمع:

- **طُلب التاريخ** وتُرك المتقدم منها بالمتأخر ويكون ذلك نسخاً له.
- إن لم يوجد التاريخ وكان **الإجماع** على استعمال إحدى الآيتين عُلم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها.

لا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تَعْرَيَانِ عن هذين الوصفين.

مرجحات عند التعارض:

الأول: تقديم المدني على المكي.[1]

الثاني: أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة والآخر على غالب أحوال أهل المدينة، فيقدم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال أهل المدينة.[2]

مثاله: قوله تعالى: {ومن دخله كان آمنا} مع قوله: {كتب عليكم القصاص في القتلى} فإذا أمكن بناء كل واحدة من الآيتين على البدل جعل التخصيص في قوله تعالى: {ومن دخله كان آمنا} كأنه قال: إلا من وجب عليه القصاص.

الثالث: أن يكون أحد الظاهرين مستقلاً بحكمه والآخر مقتضياً لفظاً يزاد عليه فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترتيب

مثاله: {وأتموا الحج والعمرة} مع قوله: {فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي} وقد أجمعت الأمة على أن الهدي لا يجب بنفس الحصر وليس فيه صريح الإحلال بما يكون سبباً له فيقدم المنع من الإحلال عند المرض بقوله: {وأتموا الحج والعمرة} على ما عارضه من الآية.

الرابع: أن يكون كل واحد من العمومين محمولاً على ما قصد به في الظاهر عند الاجتهاد فيقدم ذلك على تخصيص كل واحد منهما من المقصود بالآخر.

مثاله: قوله: {وأن تجمعوا بين الأختين} بقوله: {وما ملكت أيمانكم} فيخص الجمع بملك اليمين بقوله تعالى: {وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف} فتحمل آية الجمع على العموم والقصد فيها بيان ما يحل وما يحرم وتحمل آية الإباحة على زوال اللوم فيمن أتى بحال.

الخامس: أن يكون تخصيص أحد الاستعمالين على لفظ تعلق بمعناه والآخر باسمه.

مثاله: قوله: {شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم} مع قوله تعالى: {إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} فيمكن أن يقال في الآية بالتبين عند شهادة الفاسق إذا كان ذلك من كافر على مسلم أو مسلم فاسق

[1] حتى وإن كان يجوز أن تكون المكية نزلت عليه ﷺ بعد عوده إلى مكة والمدنية قبلها، فيقدم الحكم بالآية المدنية على المكية في التخصيص والتقديم، إذ كان غالب الآيات المكية نزولها قبل الهجرة.

[2] فيه نظر من الناحية الفقهية.

على كافر وأن يقبل الكافر على الكافر وإن كان فاسقاً أو يحمل ظاهر قوله: {أو آخران من غيركم} على القبيلة دون الملة ويحمل الأمر بالتثبت على عموم النسيان في الملة لأنه رجوع إلى تعيين اللفظ وتخصيص الغير بالقبيلة لأنه رجوع إلى الاسم على عموم الغير.

📖 **السادس: ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهراً.**

تقديم قوله تعالى: {وأحل الله البيع} على قوله: {وذروا البيع} فإن قوله: {وأحل} يدل على حل البيع ضرورة ودلالة النهي على فساد البيع إما ألا تكون ظاهرة أصلاً أو تكون ظاهرة منحطة عن النص.

القول عند تعارض آي القرآن والآثار

قال القاضي أبو بكر في التقريب: "لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما توجبه أدلة العقل".

لا يكون قوله: {إلى ربها ناظرة} معارضاً لقوله: {لا تدركه الأبصار} في تجويز الرؤية وإحالتها لأن دليل العقل يقضي بالجواز ويجوز تخليص النفي لا تدركه بالدنيا والإثبات إلى ربها بالقيامة.

تعارض القراءتين في آية واحدة

وقد جعلوا تعارض القراءتين في آية واحدة كتعارض الآيتين، مثل:

قوله: {وأرجلكم} بالنصب والجر، وقالوا يجمع بينهما بحمل إحداهما على مسح الخف والثانية على غسل الرجل إذا لم يجد متعلقاً سواهما.

قال الإمام الزركشي: اعلم أنه إذا لم يكن لها متعلق سواهما تصدى لنا **الإلغاء أو الجمع** فأما إذا وجدنا متعلقا سواهما فالمتعلق هو المتبع

القول في الاختلاف والتناقض

قال أبو بكر الصيرفي في شرح رسالة الشافعي:

- جماع الاختلاف والتناقض: أن **كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض.**
- إنما التناقض في اللفظ: **ما ضاده من كل جهة على حسب ما تقتضيه الأسماء.**

❀ لن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من ذلك أبداً **وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين** بأن يوجب حكماً ثم يحله وهذا لا تناقض فيه.

❀ تناقض الكلام **لا يكون إلا في إثبات ما نفي أو نفي ما أثبت** بحيث يشترك المثبت والمنفي في الاسم والحدث، والزمان والأفعال والحقيقة.

❀ لو كان الاسم حقيقة في أحدهما وفي الآخر مستعاراً ونفي أحدهما وأثبت الآخر **لم يعد تناقضاً هذا كله في الأسماء**.

❀ المعاني هي باب القياس، فكل من أوجد علة وحررها، وأوجب بها حكماً من الأحكام ثم ادعى تلك العلة بعينها فيما يأباه الحكم فقد تناقض.

✂ الأسباب الموهمة الاختلاف

وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى. ← لاختلاف الموضوع. ← لاختلافها في جهتي الفعل. ← لاختلافها في الحقيقة والمجاز. ← بوجهين واعتبارين وهو الجامع للمفترقات.

✸ السبب الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى.

مثاله: قوله تعالى في خلق آدم إنه: {من تراب} ومرة {من حمأ مسنون} ومرة {من طين لازب} ومرة {من صلصال كالفخار} الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الأحوال.

✸ السبب الثاني: لاختلاف الموضوع.

مثاله: قوله: {ولا يكلمهم الله} مع قوله: {فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون} وقيل: المنفي كلام التلطف والإكرام والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة فلا تنافي.

✸ الثالث: لاختلافها في جهتي الفعل.

مثاله: قوله تعالى: {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم} أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير.

✸ الرابع: لاختلافها في الحقيقة والمجاز.

مثاله: قوله: {وترى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى} {ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت} وقال المناطقة الاختلاف بالإضافة أي: وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازاً، وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة.

الخامس: بوجهين واعتبارين وهو الجامع للمفترقات.

مثاله: {خمسين ألف سنة} وفي موضع {ألف سنة} وأجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل {وكان يوما على الكافرين عسيرا}.

وقوع التعارض بين الآية والحديث

١. قوله تعالى "والله يعصمك من الناس" وقد صح أنه شج يوم أحد وأجيب بوجهين:

- أن هذا كان قبل نزول هذه الآية لأن غزوة أحد كانت سنة ثلاث من الهجرة وسورة المائدة من أواخر ما نزل بالمدينة.
- بتقدير تسليم الأخير فالمراد العصمة من القتل وفيه تنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء.

٢. قوله تعالى: {ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} مع قوله ﷺ: "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله"، وأجيب بوجهين:

- نُقل عن سفيان: **النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال** ويدل له حديث أبي هريرة: "إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم" رواه الترمذي.
- أن **الباء في الموضعين مدلولها مختلف** ففي الآية باء المقابلة وفي الحديث للسببية ومنهم من عكس هذا الجواب وقال الباء في الآية للسببية وفي الحديث للعوض وقد جمع النبي ﷺ بقوله: "سددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته".

النوع السادس والثلاثون: معرفة المحكم من المتشابه

قال الله تعالى: {منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} قيل ولا يدل على الحصر في هذين الشيئين فإنه ليس فيه شيء من الطرق الدالة عليه وقد قال "لتبين للناس ما نزل إليهم" والمتشابه لا يرجى بيانه والمحكم لا توقف معرفته على البيان.

في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

- أحدها: أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: {كتاب أحكمت آياته}.
- الثاني: كله متشابه لقوله تعالى: {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها}.
- الثالث: -وهو الصحيح- أن منه محكماً ومنه متشابهاً لقوله تعالى: {منه آيات محكمات هن أم الكتاب}

المحكم:

- لغةً: **المنع**، تقول أحكمت بمعنى رددت ومنعت والحاكم لمنعه الظالم من الظلم وحكمة اللجام هي التي تمنع الفرس من الاضطراب.
- اصطلاحاً: فهو **ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام**، وقيل هو:

المتشابه:

- أصله: أن **يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني** كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة {وأتوا به متشابها} أي: متفق المناظر مختلف الطعوم، ويقال للغامض: متشابه لأن جهة الشبه فيه كما تقول لحروف التهجي والمتشابه مثل المشكل لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره وشاكله.

اختلفوا في المتشابه فقيل:

- مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.
- ما يحتمل وجوهاً.
- الآيات التي يذكر فيها وقت الساعة ومجيء الغيث وانقطاع الآجال كقوله: {إن الله عنده علم الساعة}.
- ما لا يدرى إلا بالتأويل ولا بد من صرفه إليه كقوله: {تجري بأعيننا} و {على ما فرطت في جنب الله}.
- فواتح السور.
- ما أمرت أن تؤمن به وتكل علمه إلى عالمه.
- القصص والأمثال.
- هو المنسوخ الغير معمول به
- هو المشتبه الذي يشبه بعضه بعضاً.

فصل الخطاب في ذلك:

أن الله سبحانه قسَّم الحق بين عباده فأولاهم بالصواب من عبر بخطابه عن حقيقة المراد {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} ثم قال: {ثم إن علينا بيانه} أي **على لسانك وألسنة العلماء من أمتك وكلام السلف راجع إلى المشتبه بوجه لا إلى المقصود المعبر عنه بالمتشابه في خطابه** لأن المعاني إذا دقت تداخلت وتشابهت على من لا علم له بها إن سياق معاني القرآن العزيز قد تتقارب المعاني ويتقدم الخطاب بعضه على بعض ويتأخر بعضه عن بعض لحكمة الله في ترتيب الخطاب والوجود فتشتبك المعاني وتشكل إلا على أولي الألباب.

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ